الفصل الثامن

أصوات الإيمان، ووجوه الجمال: ربط المسلمات الأمريكيات عن طريق عزيزة

جميلة كريم

بينما تنطلق بقية أنحاء العالم إلى المجال السايبري، تحتفل النساء المسلمات بأنفسهن في عالم الطباعة في أثناء تأكيدهن لفكرهن واستصلاح أجسادهن، وتجديد أرواحهن عن طريق عزيزة. وعزيزة تصف نفسها بأنها مجلة «المرأة المسلمة المعاصرة»[1]. وقد وصفتها نيوزويك بأنها المجلة الأولى الوحيدة للنساء المسلمات»، وأوضحت أن «هذه المجلة الفصلية ذات الورق الصقيل تلبي حاجات قارئات من أصول عرقية متعددة ... وتقدم قصصاً ذكية عن كل شيء، من منع الحمل إلى البقاء بعد ردة الفعل الانتقامية للحادي عشر من أيلول / سبتمبر» (لورين علي 2002). وفي هذه المقالة، سأبين كيف تقدم عزيزة واسطة نقدية مهمة لإنشاء شبكات نسائية إسلامية. فعزيزة تربط النساء عبر الفوارق في الأصول العرقية، والطبقات، والأجيال، والاهتمامات المهنية والممارسات ووجهات النظر الإسلامية. فهي من المواقع الكبرى للإنتاج الثقافي، وفيها تنتقل الأفكار وتتصارع. وعزيزة تشكّل خطاباً أمريكياً نسائياً إسلامياً، بينما هي تنشئ الجمال واللمعان البارزين في مجلة الموضة فوغ Vogue

وعزيزة تتحدى حالات التمثيل التقليدي المألوف للمسلمات كالحالة المرسومة على غلاف مجلة تايم في كانون الأول / ديسمبر عام 2001، حيث تبدو فيها امرأة ترتدي الحجاب (غطاء الرأس)[2]. وفي داخل العدد المذكور من مجلة تايم صور لنساء بالبراقع تظهر، وهناك أيضاً صور لمسلمات دون حجاب، «نموذج دنيوي: النساء التركيات، الأكثر تحرراً في العالم الإسلامي»، وكأن التحرر والحجاب لا يجتمعان. فأين صور المسلمات السعيدات والقويات في الحجاب المتعدد الألوان؟

وتأمل **عزيزة** أن تتحدى الاتجاه السائد في المجرى العام لوسائل الإعلام الأمريكية، والمتطرفين من المسلمين على حد سواء. لأن هذين الجانبين ـ من وجهتي نظر عالميتين متضادتين ـ قد أساءا تمثيل المسلمات وكأنهن جميعاً نمط واحد متجانس من النساء، **فعزيزة** تقدم النساء المسلمات ـ مع عقيدتهن الإيمانية، وأزياء ملابسهن ـ بطريقة تجمع بين الجمال والتنوع. وبدلاً من تايم، والطالبان، ومجلة **كوزموبوليتان**، فإن بوسع المسلمات الأمريكيات أن يتوجهن إلى **عزيزة**.

عزيزة تجابه صورة العالم الثالث

في كتاب **نساء يطالبن بالإسلام** تبين مريم كوك كيف أن الثورة في تكنولوجية المعلومات قد رافقها تعاظم في تشكيل المجموعات الدينية وتزايد في الاهتمام بالنساء في المجتمع الإسلامي. وعندما صارت النساء «مسموعات الصوت وبارزات للعيان» بصورة متزايدة وضعتهن الجماعات الدينية «في المركز الرمزي لاهتماماتها ومناقشاتها» (2001 صVIII). ولكن النتيجة النهائية لهذه الاهتمامات والمناقشات هي إعطاء الرجال مكاسب سياسية وعقديّة أيديولوجية بدلاً من تأمين حقوق المرأة (زويا حسن 1998). ونتيجة لذلك فقد تم تخيل النساء وتصويرهن أكثر من سماعهن. غير أن كوك تبين كيف أن المسلمات شرعن في الاعتماد على الخطاب الأبوي الإسلامي والاستفادة منه. فقد اكتسبن السيطرة على لغته، وقانونه، واستعمالاته المجازية في أثناء وضعهن لجدول أعمالهن الخاص بهن والمؤيد للنساء.

ومن بين البوابات التي تدخل منها المسلمات إلى الحوار الأبوي، ويغيّرنه طريقة في الاتصال تسميها كوك «التصوير، حقيقة بصرية ماثلة تشكل الوعي» (ص128). فمنذ القرن التاسع عشر، استخدم التصوير لإنشاء صورة ساكنة، متجانسة للنساء المسلمات بعدِّهن «سلبيات ومظلومات...، بأشكال أكثر أو أقل غرابة، وأكثر أو أقل تحجباً، وأكثر أو أقل توافراً، وأكثر أو أقل عرضة للقمع» (ص130). كما أن ليلى أحمد (1992) ومريم كوك تبينان كيف أن الاستعمار الغربي والحركات النسائية الميالة للغرب قد لعبا أبرز الأدوار في تصوير المرأة المسلمة كما هي مجردة. «فقد تمت تصفية صور النساء المسلمات أولاً من خلال عدسات الاستشراف ـ بعدِّهنّ

مخلوقات غامضة، ومغرية، ومعزولة» كما تجادل كوك (ص126). ومن خلال عدسة استعمارية، صارت الثقافة العربية تشير إلى الإيمان الإسلامي، والعربيات يشرن إلى المسلمات، وتُنَظِّر شاندرا موهانتي حول هذا الشكل من الدلالات المنقوصة، فتقول: «إن الفكرة الصلدة عن النزعة الأبوية أو السيطرة الذكورية يؤدي إلى تركيب فكرة انتقاصية ومتجانسة بطريقة مشابهة لما أسميه «فرق العالم الثالث» (1988، ص63). وهذا الفرق هو إستراتيجية متحولة للهيمنة في الكتابات النسوية الغربية تنتج صورة «امرأة عادية من العالم الثالث» (ص65).

إن ردة الفعل الإسلامية العنيفة ضد الفكرة الاستشراقية عن «فرق العالم الثالث» قد أدت إلى المزيد من تحويل المسلمات إلى أشياء أو سلع. فالإسلاميون يجابهون الهيمنة الثقافية الغربية بفرض الحجاب. وقد صارت رؤية الحجاب منتشراً بين عامة الناس هي المقياس الأساسي «للدولة الإسلامية». فلا يستطيع المرء أن يدحر الغرب ــ كما يجادل الإسلاميون ــ إلا بإقامة دولة إسلامية نقية. والمرأة المحجبة تمثل عندهم الولاء للدولة الإسلامية، وكذلك الولاء للقيم الإسلامية ضد القيم الغربية. ومن الناحية العملية، فإن الإسلاميين يستخدمون أسطورة المرأة المسلمة المجردة لتكميل ودعم أسطورة الدولة الإسلامية الصارمة السرمدية. فالخطابات الإسلامية، المتشابكة «في المزاعم الصارخة والمزاعم المضادة حول من هو المرتدي الحقيقي الوحيد للجلباب الإسلامي»، تعلن مجتمعاً إسلامياً قياسياً ثابتاً لا يتغير، متجاهلة «التنوعات الفعلية في التراكيب، والمعايير، والثقافات المرئية الواضحة للعيان في العالم الإسلامي». (شهيد 1995، ص79). وفوق كل شيء، فإن هذه الخطابات تتجاهل الحقائق والحاجات المختلفة للنساء المسلمات، فتغطي أصواتهن في ظلال لقطة تصويرية. غير أن مريم كوك ترى أن التلاعب بالصورة ليس قاصراً على الذين هم في السلطة: «إن تسمية الآخرين والتأشير عليهم ليس امتيازاً حصرياً للسلطة؛ بل هو جزء من التنازع على السلطة»، كما كتبت كوك في عام (2001، ص129). ومثلما استخدمت النزعة التصويرية لإسكات المسلمات وتحويلهن إلى أشياء، فإنها يمكن بطريقة مناقضة تماماً أن تصبح البوابة التي تستطيع من خلالها المسلمات أن يقلبن تأثيرها، ويحصلن على جدول الأعمال الإسلامي الخاص بهن لتمكينهن من السلطة.

ولقد فتحت نساء عزيزة هذه البوابة. فهن ينشئن صورهن الخاصة بهن للمسلمات. ويكتبن وجهات نظرهن وتصوراتهن الخاصة للإيمان والممارسة. فهن يكشفن عن الظلال المتعددة للنساء المسلمات، و«يعدن تصوير» أنفسهن في «المجال الثالث». إن شهناز خان تصور حقيقة المسلمات في أمريكة الشمالية بعدّها «مجالاً ثالثاً»، لأن النساء هنا يستطعن تحدي النزعتين الإسلامية والاستشراقية معاً، (2000). أما في المجال الثالث، فإن المسلمات الأمريكيات يمكنهن التفاوض حول المعايير التقليدية الإسلامية والمثل العليا الأمريكية الشمالية. فهن ينتمين إلى مجتمعاتهن الإسلامية، وفي الوقت نفسه يستطعن مقاومة التمييز العنصري والعرقي الذي يتعرضن له من المجتمع الأوسع غير المسلم. ومن المفارقات أنهن قد ينتمين في الوقت نفسه إلى مثل غير إسلامية تساوي بين الجنسين؛ كي يقاتلن ضد القهر الجنسي للنساء ضمن مجتمعاتهن الإسلامية. فالمسلمات يفاوضن باستمرار مطرد، بينما هن يتصورن ما معنى أن تكون المرأة مسلمة في أمريكة الشمالية. فنساء عزيزة مقيمات في المجال الثالث، يصارعن، ويطالبن، ويطلقن أصواتاً في الميدان العام. وهن يعشن في المجال الثالث من أجل تمزيق صورة «العالم الثالث».

«لقد كنا نُعَدُّ متشددات تماماً»:

النساء الواقفات خلف عزيزة

بينما أتابع الطريقة التي بدأت بها عزيزة تأخذ شكلها، وأناقش النساء اللواتي قمن بصياغة شبكتها، فإنني أبرز الطيف العرقي للنساء اللواتي في شبكة عزيزة. إنهن مسلمات أمريكيات إفريقيات، وأمريكيات عربيات، وآسيويات، وأوروبيات. فتنوعهن العرقي يتحدى حالات التصوير المجردة لهن، ويظهر القوة الفريدة التي تتمتع بها عزيزة في الأمة الأمريكية، أي الجماعة الإسلامية. وتتكون الأمة الأمريكية من مجموعات عرقية متعددة تثبت عضويتها على أساس غير عرقي[3]. إن تكوين روابط «أخوية» بين النساء والرجال في هذه المجموعات هو من بين أعلى مُثُل التضامن الإسلامي. وإن الفصل العنصري في مجتمعات المساجد الأمريكية يدل على أن هذا

المثل الأعلى بعيد عن التحقق في الواقع[4]. وتوضح عزيزة كيف تقوم الشبكات النسوية الإسلامية بتكوين روابط أخوية نسائية في أمة منقسمة فيما عدا هذه الروابط.

وعلى غلاف كل عدد من أعداد مجلة عزيزة تظهر صورة مسلمة محجبة، بالرغم من أنه توجد في داخل المجلة صورة لنساء يرتدين الحجاب ونساء لا يرتدينه. وهذه الصورة تعتمدها طيبة تايلور، مؤسسة المجلة ورئيسة تحريرها، فتستخدمها على الغلاف؛ كي تميز مجلتها بعدّها مجلة مسلمات موجهة إلى المسلمات. والوجوه التي على غلاف عزيزة جميلة وسعيدة.

وفي الثامن من حزيران، روت لي طيبة تايلور قصة عزيزة. فقد ولدت في ترينداد لعائلة مسيحية. وكانت متمردة منذ صغرها. وكان فضولها، وهوايتها، واهتماماتها المتنوعة هي التي قادتها إلى الإسلام، إلى أخوات سياتل المسلمات، وإلى عزيزة في آخر الأمر. وقد اعتنقت طيبة الإسلام عام 1971. وقد تطور لديها الاهتمام بالقضايا النسائية، بينما كانت تدرس في المملكة العربية السعودية من عام 1979 إلى عام 1985. وكان الفصل بين الجنسين هناك مثبطاً لها، ولكنه مكسب للقوة أيضاً؛ لأن طيبة كانت لديها إمكانية الوصول إلى كثير من النساء المتعلمات. وقد صرحت طيبة: «إن عدم الاضطرار إلى التنافس مع الرجال، وعدم مقارنة النساء بالرجال، وعدم الاضطرار إلى التعامل مع توقعات المدرسين الذكور القائمة على التفرقة بين الجنسين، وعد التعرض للالتهاء بجو مشحون جنسياً، هي كلها عوامل قد يكون لها تأثير إيجابي على النساء عند فصلهن عن الرجال» غير أن طيبة تلاحظ أن هذا النوع من الفصل ينجح «فقط عندما يكون كل شيء متساوياً، وعندما يكون بالاختيار». وفي السعودية لم ترَ طيبة مساواة ولا خياراً في الفصل الصارم. وهي تعدّ أن عدم التماثل بين الجنسين المفروض على النساء بالقوة في المملكة العربية السعودية هو شيء لا يمكن الدفاع عنه: «لم أكن أستطيع أن أقود سيارة هناك. فكان زوجي مضطراً لأخذي إلى كل مكان، أو لاستئجار سائق من أجلي، أو كان علي أن أركب الحافلة: فالتكسيات لا تأخذ النساء الوحيدات بالأجرة (ما قالته المؤلفة هنا غير صحيح). وكانت كل الدكاكين يديرها رجال، بحيث إذا أراد المرء شراء ملابس داخلية، فإنها تتعامل بشأنها مع الرجال». (مقابلة مع مؤلفة المقال عن طريق البريد الإلكتروني، 27 حزيران / يونيو 2002).

وعند عودة طيبة إلى الولايات المتحدة زاد وعيها بانعدام المساواة بين الجنسين في الأمة الأمريكية. فوجدت ذلك امتداداً للممارسات في البلدان الإسلامية، وقالت: «إن المساجد هنا تضع بوابات دخول النساء في الدروب الخلفية، ومصلّى النساء في القبو. ويبدأ الإمام خطبته بعبارة: «السلام عليكم أيها الإخوة» وكثيراً ما يذكر «دور النساء في الإسلام»، ولكن نادراً ما يذكر مسؤوليات الذكور. وبدلاً من ذلك، فإن تعدد الزوجات يقدم على أنه حق للذكور. وتعترض طيبة بشكل خاص على الفصل بين الرجال والنساء في أثناء صلاة الجمعة[5]. وبالفصل لا تستطيع النساء أن يرين الإمام، ولكن الرجال يرونه. وبعض المساجد تزود مساحة النساء بأجهزة تلفزيونية للمراقبة. ولكن طيبة قالت: «أنا لا أريد مراقبة شاشة تلفزيونية» وتقول بعض النساء: إن الفصل يوفر لهن الحفاظ على خصوصيتهن، بينما تشعر أخريات بأنهن غريبات عن الجماعة، وتوضح طيبة: «لقد كنت أعجب دائماً من متابعة إمام لا تستطيعين رؤيته، أو إمام يقود جماعة لست أنتِ جزءاً منها. (مقابلة مع المؤلفة عن طريق البريد الإلكتروني في 25 حزيران / يونيو 2002). وفي أثناء مقابلتي مع طيبة في 8 حزيران/يونيو 2001، أكدت أن الفصل بين الجنسين يحرم النساء من المشاركة والتأثير الكاملين في المسجد. وهذه التجارب جعلت طيبة تؤسس مجموعة أخوية للنساء هي «أخوات سياتل المسلمات» في ثمانينيات القرن العشرين. واستذكرت طيبة عملها مع هؤلاء الأخوات مدة ثمانية أعوام، فقالت: «كنا نعدّ متشددات جداً!».

وعن المشروع الإسلامي النسوي الحالي صرّحت طيبة: «عزيزة مزيج كامل من عواطفي القوية المحبة للإسلام والقراءة والكتابة. فهي شيء خرج مني ببساطة» وقد تم تصور فكرة عزيزة للمرة الأولى في أثناء مؤتمر النساء المسلمات في شيكاغو في أوائل التسعينيات. فقد تحدثت إحدى النساء عن مجلة موجودة للنساء المسلمات. فأثارت الفكرة حماس طيبة، فلم تستطع الانتظار حتى تراها. وأوضحت «ولكنني عندما ذهبت إلى جنحها وجدت أنها مجلة صغيرة الحجم جداً، وكأنها رسالة إخبارية، وهكذا خاب أملي». وطوال طريق عودتها إلى بيتها بالطائرة، ظلت تسأل المرأتين المسلمتين المسافرتين معها: «لماذا لا تكون لنا مجلة؟» وأخيراً قالت لها صديقتاها: «لماذا لا تقدمين بنفسك على عمل المجلة يا طيبة؟» فأجابت: «حسناً، سوف أفعل».

وكانت طيبة تعرف أنها لا تستطيع وحدها أن تنشر مجلة، وهكذا فكرت فيمن يمكن أن تستعين بهن. واستذكرت: «وفكرت في نادية، وهي أمريكية عربية، أبوها فلسطيني وأمها أمريكية أوروبية». غير أن طيبة لم تختر نادية بسبب أصلها العرقي ولكن «لأنها كاتبة» وبسبب «خبرتها في الأدب». وكانت طيبة قد عرفت نادية عن طريق مدرسة في سياتل كانت كلتاهما مدرستين فيها. فأحبت نادية اقتراح طيبة، وردت عليها: «آه! كنت أنا أيضاً أريد أن أقوم بعمل كهذا».

وبدأت طيبة مشروعها بالتفكير في مجال المجلة التي تريد إنشاءها وتكاليف النشر. ولكن قضايا عائلية أخرتها. وبعد ذلك بسنة قبلت عرضاً من ناشر مسلم للعمل في مجلة للأطفال المسلمين. وبعد صدور عددين منها، اقترح عليها إصدار مجلة للنساء المسلمات وعلّقت طيبة: «وبدلاً من أن أعلن أنها ملكيتي الفكرية عند تلك النقطة بأن أقول: «هذه مجلتي»، انتقلنا إلى العمل فيها، وانتهى الأمر بأن صارت مجلته هو» وأطلقا عليها اسم **الأخوات**.

وفي أحد أنشطة أخوات سياتل المسلمات جاءت أمريكية أندونيسية مسلمة اسمها مارلينا سوراكوسويمه وقدمت نفسها لطيبة. وكانت مارلينا قد رأت المجلة، وقرأت عن طيبة مقالاً في صحيفة إسلامية يتحدث عن عملها في مجلة **الأخوات**. وقالت لطيبة: «لقد رأيت ذلك، وأريد كثيراً أن أعمل في هذا المجال». وهكذا صارت مارلينا كاتبة حرة تعمل في مجلة **الأخوات** من الخارج.

وبعد أربعة أعداد، فَقَدَ ناشرو **الأخوات** الاهتمام بالمجلة، وأوضحت طيبة: «وبما أنني لم أكن قد كتبت تعاقداً، فقد كانت كل الحقوق له من الناحية القانونية، فعرض علي أن يبيعها لي، ولكنني فكرت: «لماذا أشتري شيئاً أنا أنشأته؟». وسرعان ما توقفت مجلة **الأخوات** عن الصدور. فأخذت طيبة استراحة من النشر وانتقلت إلى أطلانطا. «وبعد انتقالي إلى هنا قلت: كلاّ! إن علي أن أوجد هذه المجلة» ــ وهكذا اتصلت بنادية ونينا [مارلينا] لأنهما كانتا قد عملتا معي في مجلة **الأخوات**». (مقابلة مع المؤلفة في 8 حزيران / يونيو عام 2001)[6].

كان هدف طيبة هو نشر قصص المسلمات الأميركيات وأفكارهن. ونظراً لأن هؤلاء النساء من أصول عرقية متنوعة فإن المقالات والصور في مجلة عزيزة هي أيضاً من سلسلة تنوع واسعة. وقد أبرزت القصص في العدد الأول من عزيزة نساء كانت المحررات الثلاث يعرفنهن، نساء من طيف اجتماعي وعرقي واسع. وفيما بعد توسعت الشبكة لتجلب مزيداً من النساء ليكتبن عن رؤاهن لمستقبل عزيزة.

إن عزيزة هي أول مجلة تستهدف المسلمات الأميركيات. وهذا يتطلب إعطاء عزيزة المنظر الأنيق، والملمس الصقيل لمجلتي كوزموبوليتان وفوغ، كما تتوقع النساء الأميركيات جميعاً من أي مجلة. كما أنه يتطلب أيضاً إقامة حوار مع النساء المسلمات لاكتشاف ما الذي يردنه في مجلتهن. واعتمدت طيبة على موارد ومدخلات من صديقات قديمات ومن اتصالات جديدة. وبينما تخاطب مجلة كوزموبوليتان قرّاءها من الأعلى إلى الأسفل، فتحدد الصورة والخطاب لسوق واسعة من الناس غير المترابطين فإن عزيزة قد أقامت بنيانها على صداقات ومقابلات حقيقية ترسخت في مؤتمرات النساء المسلمات، ودوائر الدراسات القرآنية، وعروض الأزياء، والحفلات. وبينما تقف العارضات الجذابات على غلاف مجلة فوغ، فإن النساء الجميلات على صفحات مجلة عزيزة يمثلن القلب، والروح، والعقل في مجتمعات إسلامية حقيقية[7].

إن الطريقة الأساسية الأولى التي تبني بها عزيزة شبكتها هي من خلال أداة تسويقية تسمى «الاحتفالات». افتح أي عدد، وستجد صفحة تقول: «الاحتفال بعزيزة» أو «عزيزة تحتفل» وهذه الصفحة تفيض بلقطات لنساء في أزياء ملونة، ومن خلفيات عرقية متنوعة. وهن يتعانقن، ويبتسمن، ويضحكن ويتحدثن بمكبرات الصوت، ويلوحن بنسخ من المجلة، ويقطعن الكعك. وقد كتبت طيبة: «إن الاحتفالات هي انعكاس لروح المجلة. فنحن نفعل شخصياً ما نفعله فيما هو مطبوع ـ وهو الاحتفال بصوت النساء المسلمات (مقابلة مع المؤلفة بالبريد الإلكتروني في 26 نيسان / إبريل 2002). وكلما خططت عزيزة لاحتفال، فإن طيبة ترسل إشعارات بذلك إلى جميع مشتركيها في المنطقة، وإلى الصحافة المحلية، والمعلنين المحتملين[8].

وفي كل احتفال يتم تقديم المقبلات والمشروبات. فيبدأ الحفل بتلاوة من القرآن ترتلها امرأة[9]. وهناك خطابات ثقافية، تشمل الشعر، والغناء، وقرع الطبول. وتلقي النساء خطباً ملهمة عما تعنيه المجلة لهن. وتباع الاشتراكات. وتتحدث طيبة عن رؤى عزيزة، وتسأل المستمعات عما يحببن قراءته. وفي 26 نيسان / إبريل عام 2002 قالت لي: «إن الاحتفالات هي الطريقة التي نسوّق بها عزيزة. فالكلام الشفهي أساسي وجوهري في سوق صغيرة منعزلة. فلم ننشر إعلانات عن المجلة في أي مكان. ولذا فإن هذه هي الطريقة التي يعلم فيها الناس بأمرنا. وهي تساعدني في إبقاء إصبعي على نبض الأخوات ــ وما نفعله وما نفكر فيه».

وخارج الاحتفالات، ترتبط القارئات بنساء أخريات في الشبكة عن طريق قصصهن. غير أن بعض النساء يذهبن إلى ما هو أبعد من القراءة. وتسهم الكاتبات في «المحادثات» بقسم مكون من صفحتين مخصصتين للتغذية الراجعة من القارئات. وعلى سبيل المثال تكتب عائشة لورينز السعيد: «أحب أن أرى مقالاً عن ولادة الأطفال... لأن النساء المسلمات لا يحصلن على فسحة لخصوصياتهن الحميمة في المشافي الغربية»[10]. والرسائل المكتوبة إلى المحررة ليست شيئاً جديداً؛ فالناس يكتبون رسائل **للنيويورك تايمز**. أما بالنسبة **لعزيزة** فإن الرسائل تظهر من جماعات مترابطة من الناس. وبهذه الطريقة تبني عزيزة مساحة من الثقة، وهذه بدورها تحصن الشبكة، حيث تصبح النساء مرتاحات بشكل متزايد وهن يتشاطرن قصص حياتهن.

وعزيزة أكثر من مجلة. فهي تقدم من خلال شبكتها شعوراً بالروح والملكية تحمل النساء إلى أقسام أخرى من حياتهن. وأنا أكتب عن عزيزة لأنني أحمل هذه الروح بوصفي مسلمة أمريكية. وقد أصبحت جزءاً من شبكة عزيزة عندما التقيت مع طيبة في ندوة صحية لمشاركين من أديان مختلفة أشرفت عليها مجموعة محلية من النساء المسلمات. وبعد ذلك بأسبوع، سألتني طيبة إن كنت أريد كتابة مقال عن النزعة الروحية الإسلامية في العدد الأول من عزيزة. ومنذ ذلك الحين سافرت لحضور مؤتمرات إسلامية عبر الأمة كلها، والتقيت بمسلمات كن يعرفنني من قبل عن طريق

صوري ومقالاتي في عزيزة. وعندما سافرت إلى مؤتمر إسلامي في كندا، رأيت امرأة مسلمة تصعد إلى طائرتي في تورنتو. فأعجبت بكياستها ورشاقتها وأناقتها، وهي تمشي في الممر بحجابها، فخطر ببالي أنها منال عمر، الناشطة النسائية التي ظهرت على أحد أغلفة عزيزة. وفي كل مرة أفتح عزيزة، أرى أسماء ووجوهاً لنساء أعرفهن من أطلانطا، وواشنطن بمقاطعة كولومبيا، وشيكاغو، وأوكلاند، وهيوستن، ونيويورك.

داخل عزيزة

إن الصور التي في داخل عزيزة هي التي تقول لنا من هن النساء اللواتي في شبكة عزيزة. وهن ذوات بشرة كالقشطة، والكاراميل، والقهوة، وشعر أسود، وأشقر، وبني بخصل مستقيمة، ومتجعدة، ومتلوية. ونساء بقفطان أصفر فاتح، وسترة خمرية، وسراويل سوداء، وقميص أزرق ضارب إلى الأرجواني، ووجوه نبيلة في إطار من وشاحات من الشاش المزركش الحريري الشفاف، وبعضها ملفوف متطلع إلى الأعلى كأنه يلاقي السماء، وبعضها يغطي الكتفين والصدر برقة. وصورة امرأة أمريكية إفريقية برداء أسود ــ «أول قاضية أمريكية مسلمة» ــ ترتدي غطاء رأس أصفر (سابير 2001). وصورة للعالم مقسم إلى أربع زوايا، في كل واحدة منها امرأة مسلمة: «وجوه مختلفة، ووجهات نظر مختلفة، وإيمان واحد، ومجلة واحدة: عزيزة» (صيف عام 2001).

إفريقيات، عربيات، كمبوديات، أوروبيات، إندونيسيات، أهليات محليات، أميركيات من آسية الجنوبية، أمهات، وزوجات، وبنات، وأخوات، وفنانات، وأستاذات، ومخرجات أفلام، ومحاميات، وطبيبات، ومحللات ماليات، ونشيطات اجتماعيات، وأعمار تتراوح بين الرابعة عشرة والثانية والتسعين. وهن يكتبن عن موضوعات تتراوح من النساء المسلمات في أجهزة الإعلام، إلى شراء بيت بلا فائدة، إلى الخط العربي، إلى طبخ وجبات من منطقة البحر الأبيض المتوسط، إلى القانون.

وتكتب آصفة قريشي عن القانون الإسلامي، مشيرة إلى أن «الآراء القانونية المختلفة المتعددة هي صحيحة وأصيلة من الناحية القانونية» (2001). وتتحدث بيث

هاول – محمود عن الفن، فتصرح: «أنا لا أهتم عندما يكون الناس غير مرتاحين. فالله قد يجعلنا ننفتح بسبب عدم الراحة هذا. ففنّي له غرض سياسي، وأريد أن أجعل الناس يفكرون» (أقوال مقتبسة في كتاب خالد ويماني عام 2001). وتكتب زينب قاهرة عن الرياضة، وتجادل قائلة: «في بعض البلدان والمجتمعات الإسلامية قد لا تشجع... النساء والبنات على المشاركة في الرياضة. غير أننا نعرف أنه في أول مجتمع إسلامي كانت النساء يتفوقن في رماية السهام والمهارات الفروسية...، وهكذا نستطيع أن نستنتج أن النبي لم يثبط الرياضة» (2001). وتكتب طيبة تايلور عن الأستاذات الباحثات في أمريكة وتروي كيف أن رجلاً سأل ذات مرة الدكتورة أمينة ودود ــ محسن، الباحثة الأمريكية الإفريقية بعد إحدى المحاضرات: «هل تقولين: إن الرجل لا يستطيع تفسير القرآن لامرأة؟» وتكتب طيبة: «وكان جواب الدكتورة ودود ــ محسن قصيراً ولكنه مهذب، إذ قالت: «إن ما أقوله هو: إن المرأة تستطيع أن تفسر القرآن لرجل» (2001). وتكتب شريفة الخطيب عن البيوت الإسلامية الآمنة، فتوضح أن «المأوى الجيد هو الذي يحول النساء من حالة التشتت إلى طراز الحياة الإيجابي الذي يؤكد الذات» (أقوال مقتبسة في كتاب مجيد 2001). وتكتب منال عمر عن أخوية النساء العالمية، فتؤكد «أنه لا يمكن الاحتفال بها إلا إذا تجاوزنا التعريف الموحد المتجانس للأخوية، وطورنا أخوية قائمة على أساس تجارب النساء عبر العالم. فالوصفة الواحدة الثابتة لتمكين النساء لا يمكن فرضها على الجميع» (2002).

عزيزة: عمل ريادي في الأمة الأمريكية

ما الذي يفسر شمولية عزيزة التي لم يسبق لها مثيل؟ إن طيبة تعزو تنوع عزيزة إلى التنوع الذي يميز الأمة العالمية. وهي تدرك «أنك لا تستطيع أن تملك مجلة وتقول: إنها للنساء المسلمات، بينما لا يكون لديك سوى أصل عرقي واحد أو مدرسة فكرية واحدة فقط»، وهي تقول: «فإذا فعلت ذلك، فستكون مجلتك شيئاً آخر» وهناك عامل آخر يضمن تنوع عزيزة، وهو موقعها في الولايات المتحدة. فليست هناك أمة أخرى فيها ممثلات كثيرات للأمة من أصول عرقية متنوعة كما هي الحال في الولايات المتحدة. وهذا يعني أنه ليست هناك سيطرة لمجموعة عرقية واحدة[11].

وبالرغم من أهمية العامل الأميركي، فإنه لم يترجم إلى تنوع في أجهزة الإعلام الإسلامية الأمريكية. فقد صرحت سارة فلين – التي تسهم بالكتابة في عزيزة – : «إن انطباعي عن المجلات الإسلامية الأخرى هو أنها من عرب إلى عرب ناطقين بالإنكليزية، أو أنها من أناس من شبه القارة، أو أناس ناطقين بالإنكليزية من شبه القارة، وأن الباقين منا موجودون هناك فقط» (مقابلة مع المؤلفة في 26 أيلول / سبتمبر عام 2001). والمجلات الأخرى التي تشير إليها سارة هي آفاق إسلامية، والجمعة، فمجلة الجمعة لا تظهر أي علامة على التنوع العرقي؛ لأنها تمنع الصور. والناشر لهذه المجلة هو المنتدى الإسلامي. وهو يمثل مجموعة إسلامية بريطانية لها مكاتب في المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، والمملكة العربية السعودية. أما مجلة آفاق إسلامية فتنشرها الجماعة الإسلامية لأمريكة الشمالية. وبالرغم من أن هذه الجمعية تخدم المسلمين المهاجرين بالدرجة الأولى، فإنها تبذل جهوداً للتنويع في قيادتها وعضويتها. وتنعكس هذه الجهود في الصور في مجلة آفاق إسلامية. ولكن الحضور القليل للأميركيات الإفريقيات فيها يبدو رمزياً. أما في عزيزة، فإن التمثيل الاستثنائي للأميركيات الإفريقيات اللواتي يشكلن 33 في المئة من الأمة الأمريكية على الأقل، يميزها عن المجلات الأمريكية الإفريقية الأخرى. وحسبما ترى كاترين إنغلاند، التي تسهم بكتاباتها في عزيزة، فإن هذه المجلة تعكس ما هو أكثر من التنوع العرقي: «إن التنوع ليس خاصاً بالأصل العرقي فقط، بل هو يتعلق بالعمر، وبالعجز أو بالقدرات المختلفة، ويتعلق بالأطفال الذين لا صوت لهم» (مقابلة هاتفية مع المؤلفة في 25 أيلول / سبتمبر عام 2001). وبشمول هذه الأنواع من الاهتمامات، فإن عزيزة توسع التصورات القياسية عن التنوع بحيث تشمل الطبقة، والمهنة، والممارسة ووجهة النظر الإسلامية، والموضوع.

فهل تكون مجلة إسلامية يكتبها رجال مسلمون لرجال مسلمين شمولية إلى هذا الحد؟ وبدلاً من أن نسأل عما إذا كانت هوية «المرأة المسلمة» تكوّن شبكة شاملة، فإن علينا أن نسأل: ما السياسات التي تجمع معاً مجموعة من النساء من خلفيات متنوعة ضمن شبكة مشتركة تتبنّى قضية «المرأة المسلمة المعاصرة»؟ وما التجارب

التي تحفز النساء على تشكيل مثل هذه الشبكة؟ إن طرح السؤال بهذه الطريقة يؤكد تمثيل عزيزة لتجارب النساء الفردية. فهي تشير إلى إستراتيجيات نسوية تبني شبكة إسلامية للنساء مثل عزيزة. فليس هناك تمثيل على النساء المسلمات. بل إنهن هن الفاعلات. فعن طريق وصف الظروف والتجارب المتعددة لنساء عزيزة، تصبح «المرأة المسلمة» رمزاً للقوة التي تطلق سلسلة من الأصوات التي كانت مختفية وراء رمز ــ وراء الحجاب.

إنشاء الصوت، وتغيير الصورة

من التعبير الفردي إلى الجماعي

إن مفهوم الشبكة الإستراتيجية النسوية يعني ضمناً أن النساء يستخدمن تجاربهن الفردية لإنشاء قضية مشتركة ودعمها. كما يوحي ضمنياً بدوافع مختلفة تعتمد هدفاً مشتركاً. ففي شهر حزيران / يونيو عام 2001 سألت طيبة عما جعلها تستخلص رمز النساء المسلمات في الحجاب لتستخدمه بطريقة ثورية تعطي صوتاً لأعداد لا تحصى من النساء المسلمات. فطيبة تملك قدرة استثنائية على ربط أنواع مختلفة من النساء في شبكة مشتركة؛ لأنها تستطيع أن تتكلم من زوايا ووجهات نظر متعددة شكلتها مناطق مختلفة من العالم عاشت فيها طيبة. فقد ولدت في ترينداد، ولكنها ترعرعت في تقاليد بربيدوس الثقافية التي كان والداها منها. ثم أصبحت مواطنة كندية، ثم مواطنة أمريكية بعد ذلك. ودرست مدة طويلة في المملكة العربية السعودية. وفكرت في النطاق الثقافي الواسع الذي تعرضت له، فقالت: «أستطيع التواصل بسهولة كبيرة مع الآخرين، وبذلك أستطيع أن أدخل وأخرج من زاوية نظر أي شخص بسهولة كبيرة؛ لأنني أنا نفسي أملك زوايا نظر مختلفة».

وهكذا نمَّت عزيزة من وعي طيبة المتعدد الطبقات ورغبتها في إعطاء المسلمات وسيلة يعبِّرن بها عن حبهن للإسلام، وعن تنوعهن، وعن فكرهن، وعن أسلوبهن. ولكي تكون طيبة مدافعة عن النساء، كان عليها أن تحرر نفسها كلياً من السيطرة الذكورية. إذ إن عملها تحت إمرة ناشر ذكر في مجلة الأخوات قد علمها سبب أهمية

قيام النساء المسلمات بنشر مجلتهن الخاصة بهن. فقد أرادت أن تنشر موضوعاً عن سرطان الثدي، ولكن الناشر الذكر رد عليها بقوله: كلا، لا تكتبي عن سرطان الثدي. اكتبي عن كل السرطانات، ولكن لا تستعملي كلمة «الثدي». وعندما استعادت طيبة تلك التجربة قالت: «وهكذا ترين أن القيود جاءت من وجهة نظر شديدة الانحياز لسيطرة جنس الذكور».

وطيبة ترفض الانتقاص من أصوات النساء في «المجلة التي أنشأتها بيدها». فقد طلب بعض الرجال أن يكتبوا في المجلة فكان ردها: «إن عليكم أن تسامحونا، فنحن متحمسات لامتلاك مجلتنا، بحيث لا نريد إعطاءها لأي شخص آخر» **فعزيزة** مجلة من المسلمة إلى المسلمة. وهذا الموقف ليس **ضد** الرجال، بل هو موقف **مع** النساء. وقد صرحت طيبة بأن «ذلك لا علاقة له بالرجال، بل له علاقة بنا، وأين نقف، وما الذي نفكر فيه».

إن السياسة وراء عزيزة هي سياسة الصوت، فالنساء المسلمات يجادلن بأن الإسلام متعدد المراكز، ومؤلف من أصوات متنوعة شتّى. وبذلك فإنهن يجددن تحديد تقواهن. وعلقت طيبة: «كثيراً ما كانت النساء التقيات معرّفات بأنهن الهادئات الصامتات، ولكن... نهدم هذا التعريف من خلال إعطائهن وسيلة للتعبير عن آرائهن واهتماماتهن»[12].

ولئن كانت الصورة هي التحدي الأساسي لقدرة المسلمات على التعبير عن أصواتهن الحقيقية[13]، فقد أصبحت الآن هي فرصتهن الأساسية للقيام بذلك. **فعزيزة** تعطي المسلمات فرصة إلغاء الصور التقليدية، كي تحل محلها صور مشرقة لوجوه باسمة. وتأمل غلاف العدد الثالث من **عزيزة**. فعلى خلفية بيضاء تظهر كلمة **عزيزة** بحروف حمراء ثخينة، وتحتها تقف امرأة مسلمة بحجاب أحمر وأسود، وأحمر شفاه، وتظليل للعينين، وأظافر مصبوغة تضفي لوناً على الصورة. فمن الناحية الإستراتيجية، تعتمد طيبة على الصور التقليدية للمسلمات المغطيات، فتغيرها وتحولها بالأضواء والألوان.

وطيبة ومحرراتها يدركن القيمة العالية التي يعطيها المجتمع الأميركي للصورة الصقيلة اللامعة. فصناعة المجلات لها دور لا يكاد ينازعها فيه أحد، باستثناء التلفزيون والأفلام، في تحديد مواصفات الأنوثة ومقاييسها في مجتمع يحترم النساء على أساس الجمال الجسدي. فالمرأة «العارضة» يجب أن يكون جمالها كافياً كي تظهر على غلاف مجلة. وقد أخبرتني طيبة أنها تنشر تصميم النموذج الطباعي للمجلات الشعبية ولكنها تحوله لتنشئ للمسلمات «النموذج» الذي يرينه في أنفسهن. وأوضحت أنهن «يرين الجمال بالطريقة الأخلاقية القديمة»، وتابعت: «نحن جميلات... ولكن ليس بطريقة استفزازية» (مقابلة مع المؤلفة، في 8 حزيران / يونيو، 2001. وقد استجابت النساء في الشبكة بتأييد الطريقة التي تقدمهن بها مجلة عزيزة. فصرحت القارئة خديجة شريف ـ دنكارد بأن «عزيزة عزيزة عليّ؛ لأنها مجلة تمثل المسلمات بأجمل شكل. فأرى فيها جمالي، وفكري، وروحي» (بريد آليكتروني إلى المؤلفة، في 24 أيلول / سبتمبر، 2001).

ولكن ليست كل الموجودات في شبكة عزيزة سعيدات. فالمحافظات في الملابس يعترضن على كون بعض النساء لا يتغطين. وتعارض أخريات عرض امرأة مسلمة على غلاف مجلة. واحتجت قارئة ساخطة هي سارة سابو على الترويج لنسخة غربية النزعة عن الإسلام»[14]. وأوضحت قارئة أخرى هذه الاعتراضات في سياق السيطرة الذكورية: «إن السبب هو ما يسمعن الرجال يقولونه. ويبدو أنهن يقتنعن أكثر بمواقف الذكور من عائلاتهن» (مقابلة هاتفية مع المؤلفة، في 10 تشرين الأول/ أكتوبر، 2001). إن عدم موافقة المسلمات على ظهور امرأة مسلمة على الغلاف يشير إلى موافقتهن على الفكرة القائلة: إن أنسب مكان للنساء هو المجالات الخصوصية المستورة، وإنهن يجب ألا يوضعن في الواجهة وفي وسط المجالات العلنية العامة. ولم تفاجأ طيبة بردود الفعل هذه. ففي أثناء عملها في مجلة الأخوات لم يكن ناشرها الذكر يسمح لها بأن تشمل مساهمتها صوراً لنساء دون حجاب. وكان ما قالته لي هو: «إن بعضنا يغطين [شعرهن] وبعضنا لا يغطين» وعند حافة الطيف الأخرى مسلمون يطالبون بأن تنشر المجلة مناقشة عن المثليّين المسلمين. وقد تجنبت طيبة هذا الموضوع

وأوضحت: «ليس هذا جزءاً مركزياً الآن مما يهتم معظم قرائنا بقراءته»[15]. وهكذا فإن بدايات عزيزة، بالنسبة لطيبة، كانت تعكس مطامحها الشخصية، ولكن الناتج النهائي يجب أن يعكس الاهتمامات الجماعية والجدوى التجارية.

من الصورة إلى الموقف: المعاصر والنسوي

تستخدم عزيزة الصورة كي تبرز الصوت، ولتقدم المسلمات فيما وراء الصورة، وقد وصفت لي طيبة «المسلمة المعاصرة» بأنها المرأة التي «تسهم بفاعلية في مجتمعها، ولها ثقة بإيمانها، وتؤمن بالجماعية المتأصلة في الإسلام، ولا تعتذر عن كونها مسلمة أو عن كونها امرأة» والقارئات المستهدفات هن المسلمات المعاصرات اللواتي تترسخ تحالفاتهن في الظروف المشتركة للمجتمعات الإسلامية عبر الولايات المتحدة كلها. وبالرغم من أن طراز الحياة الأمريكية والمثل الإسلامية العليا كثيراً ما تقيد النساء المسلمات، فإنهن يستخدمن النظرتين العالميتين معاً؛ لمساعدتهن في التعبير والنشاط.

إن مثل هذا الشكل من التعبير في عزيزة، الذي ينبع من الفرص والقيود في الوقت ذاته، هو ما يميز الحركة النسوية الإسلامية. وتعرّف الباحثة مريم كوك الحركة النسوية الإسلامية بأنها شكل من اتخاذ المواقف. فالمسلمات يضعن أنفسهن في مجتمعاتهن الإيمانية، ويعتقدن أنها هي المصادر الأساسية لتمكينهن. وفي الوقت نفسه، فإن الهياكل الأبوية في مجتمعاتهن تقيد كلامهن وقوّتهن. وتسأل كوك: «فهل يقبلن المعايير الرجعية لمجتمعاتهن أم يستولين عليها ويدمّرنها في أثناء العملية؟» (2001، ص55). وهي تجادل بأن النساء المسلمات يطالبن بهذه المعايير وفي الوقت نفسه يتحدينها بإنشاء «مواقف طارئة غير متوقعة» (ص60). ففي الوقت الذي يرسخن موقعهن عضوات ملتزمات بإيمانهن في مجتمعاتهن، فإنهن قد يخرجن من هذا الموقع مؤقتاً ويتحيزن عند الضرورة للعضوات الأخريات في المجتمع الأوسع، مع غير المسلمات، على سبيل المثال. وفي غضون هذه العملية يكتسبن معرفة وموارد تمكنهن من مقاومة المعايير الأبوية في مجتمعاتهن الإسلامية.

وتنطوي الحركة النسوية الإسلامية على «انتقاد متعدد الجوانب» (ص107). فالمسلمات قد ينتقدن مجتمعاتهن الإيمانية بالتشبيك بصورة طارئة وغير متوقعة في خارجها عندما يشعرن بأنهن تحت التهديد أو دون دعم. غير أنهن بالبقاء داخل مجتمعاتهن الإيمانية يوحين بأن الشبكات الخارجية غير مناسبة لهن بوصفها أماكن للتعبير الشخصي عن أنفسهن. ولذا فإن الحركة النسوية الإسلامية تتحدى الفكرة القائلة: إن النساء المسلمات باعتمادهن رموزاً محترمة في مجتمعاتهن الإيمانية، مثل الحجاب، يتخلين عن قوتهن للوقوف ضد القمع الذكوري. وفي المقابل، فبما أن المسلمات يفسرن القانون الإسلامي، بحيث يتيح لهن التحرك خارج مجتمعاتهن الإيمانية، فإن الحركة النسوية الإسلامية تتحدى كذلك الفكرة القائلة: إن في الإسلام قيوداً متأصلة تحدّ من حركة المرأة. وكما تنظّر كوك، فإنهن «يطالبن بحقهن في أن يكنّ نساء قويات ضمن هذا التقليد، أي أن يكنّ مؤيدات للحركة النسوية دون خشية من اتهامهن بأنهن ميالات إلى تقليد الغرب ونزعاته. (ص60). وقد أكدت طيبة أن امرأة **عزيزة** «لا تعتذر عن كونها مسلمة أو عن كونها امرأة».

فعزيزة، بامتلاكها مبادئ النشاط في المجتمع، وثقتها بإيمانها، ويقينها بجماعة الإسلام التي تحدد الحركة النسوية الإسلامية، تقدم منبراً لدراسة انتقاديه متعددة الجوانب. فالنشاط الفاعل يصحح الصورة التي يرسمها غير المسلمين للنساء المسلمات بعدّهن معاديات للغرب. وقد كتبت فوزية السلطان: «ينبغي على المسلمات أن يصبحن مواطنات حقيقيات... ينهمكن في أنشطة متنوعة... اجعلن الناس يرون إنسانيتكن وتعقيداتكن. فهذه هي طريقة الترويج لصورة طيبة عن المرأة المسلمة» (مقتبسات في كتاب محمد وتايلور عام 2001). والثقة بالإيمان تتيح للمسلمات أن يكنّ «مواطنات حقيقيات» وأن يسهمن إسهاماً كاملاً في المجتمع الأميركي ضمن إطار إسلامي يتحدى الأفكار النابعة من عائلات وجماعات توحي بأن مشاركتهن تمثل خيانة للإسلام. ولكي تقدم المسلمات على هذا التحدي، عليهن أن يؤمن بالنزعة الجماعية المتأصلة في الشريعة، أي في القانون الإسلامي. فكثيراً ما تؤدي الضغوط ضمن مجتمعات النساء المسلمات إلى خنق أصواتهن المعبرة أكثر مما تخنقها الصور التي يؤلفها غير المسلمين.

وتجادل روندا روماني بأنه يجب على المسلمات أن يناقشن القضايا الخلافية المثيرة للجدل في مجتمعاتهن قبل أن ينتقدن وسائل الإعلام. فقد كتبت: «وعندئذ سيكون بوسعنا أن نغير صورة المسلمات [في أجهزة الإعلام] تغييراً نزيهاً؛ لأننا نفعل ذلك في مجتمعاتنا نفسها» (اقتباس في كتاب محمد وتايلور، 2001).

فمجلة عزيزة تكتبها المرأة المسلمة للمرأة المسلمة، وبذلك تؤسس شبكة نسوية إسلامية لأنها تعمل «مع النساء المسلمات و/أو بالنيابة عنهن وحقهن في التمتع مع الرجال بالمشاركة الكاملة في مجتمع عادل منصف» (كوك 2001، ص61) وتنتقد عزيزة المجلات الأخرى التي تزعم أنها تعمل بوصفها ناطقة باسم المسلمين الأمريكيين. فتؤكد نساء عزيزة أن هذه المجلات تحصر مناقشة قضايا النساء في صفحة واحدة للنساء فحسب، وتركز على المثاليات. وكما صرحت سارة فلين، فإن ما تكتبه هذه المجلات «لا ينطلق فعلياً من وجهة نظر امرأة تذهب إلى السوق بالحجاب كل يوم» (مقابلة بالهاتف مع المؤلفة في 26 أيلول / سبتمبر، 2001). فمجلة الجمعة مثلاً لها مجلس تحرير استشاري وموظفون من الرجال فقط. ومجلة آفاق إسلامية لها مجلس تحرير استشاري من سبعة أشخاص ليس فيهم إلا امرأة واحدة. وتجادل طيبة بأن هذا الاتجاه لإهمال آراء النساء يعكس الوضع التاريخي للرجال بعدّهم «حراس بوابة الإسلام ومفسري مصادره الأساسية» (مقابلة مع المؤلفة في 8 حزيران / يونيو، 2001). وحراس البوابة هؤلاء يتجاهلون تجارب النساء، فيقدمون المسلمات بوصفهن نموذجاً مثالياً، ساكن وصامت فقط. وفي أثناء هذه العملية يعزز الرجال المسلمون صورتهم طغاةً يسهمون عن غير قصد في نموذج «فَرْقِ العالم الثالث».

وأما طيبة فتأخذ الرمزين «مسلمة» و«امرأة»، وبدلاً من تقديم المزيج «امرأة مسلمة» كشيء ساكن، فإنها تربطه بسلسلة من التجارب. ولكن الأكثر من ذلك هو أنها تشير إلى «تجربة إضافية» توحي ضمناً بأن النساء المسلمات لهن ميزة على الرجال المسلمين وعلى النساء غير المسلمات[16]. وتصرح قارئة عزيزة مها الخطيب: «على عكس النوع السائد من النساء في أمريكة، فإن كوننا مسلمات هو أهم عندنا من أي شيء آخر» (مقابلة عن طريق البريد الإلكتروني مع المؤلفة في 17 أيلول / سبتمبر عام

2001). فالمسلمات الأميركيات يعرفن الإيمان بوصفه أقوى شيء مشترك بينهن. فهن أكثر من حركة نسوية: إنهن حركة نسوية إسلامية. فهن يقدمن مراجع النصوص الإسلامية ويواجهن العقائد والممارسات ضمن تقليدهن. والحصيلة هي ثورة، حيث يكون للثورة الأثر الأهم: في البيت وفي مجتمعاتهن. وتتيح لهن الحركة النسوية أن يعطين المكانة الأولى لإيمانهن ولمجتمعاتهن دون التخلي عن حقوقهن ومسؤولياتهن.

الباحثات والنشيطات المسلمات

تجمع عزيزة على صعيد واحد نساء شديدات التنوع، فتقدم منبراً لأصوات مختلفة كثيرة. وعندما استعلمت عن أهمية إبراز التنوع ردت طيبة: «أعتقد أن الأصح هو أنني أسعى للحصول على القصص وعلى معلومات شخصية عن صاحباتها، والقصص وصاحباتها متنوعات» (مقابلة مع المؤلفة في 8 حزيران / يونيو، 2001). فهي قصص لم تُسرَد، كقصة سرطان الثدي التي كانت طيبة تريد كتابتها لمجلة **الأخوات**، أو مقالات تتشكك في إعطاء القيادة في المسجد للذكور فقط. فعزيزة تضمن قصصاً أهملت في السابق، وهي بذلك تصور طيفاً واسعاً من اهتمامات النساء. ومن بين المحتويات التي تميز **عزيزة** عن أي مطبوعة إسلامية أمريكية أخرى مقالات تبرز فاعلية النساء وتحصيلهن وبحثهن العلمي.

وقد صرحت نادية صابر، التي تسهم في الكتابة لعزيزة: « لقد كانت رؤية مقال عن الباحثات المسلمات شيئاً عظيماً. فهناك أناس كثيرون يعتقدون أن النساء لا يدرسن الدين، / ولا ينبغي أن يدرسنه» (مقابلة بالبريد الإلكتروني مع المؤلفة في 24 أيلول/ سبتمبر، 2001). إن تشجيع البحث حساس الأهمية **لعزيزة** بعدِّها شبكة نسوية إسلامية. فهي مجلة تضع نفسها ضمن نطاق التقليد الإسلامي والجماعات الأمريكية الإسلامية التي تحترم النصوص التقليدية، وبذلك تقدم منبراً للبحث الدراسي للنساء المسلمات، وللقارئات اللواتي يتعلمن كيف يقرأن النصوص الإسلامية بطريقة تمكّنهن. وهذا البحث يدعم صحة التزام **عزيزة** بأصوات النساء، وبتقديمهن بكل تنوعهن وزوايا نظرهن.

وكان في العدد الثاني من عزيزة تقرير عنوانه «الباحثات الإناث في أمريكة: تغيير الشكل الأبوي للفكر الإسلامي». وقد أبرز وصفاً لأربع باحثات أميركيات مسلمات، هن: الدكتورة أمينة ودود ـ محسن، والدكتورة عزيزة الهبري، والدكتورة رفعة حسن، والدكتورة آمنة مكلاود. وكانت مقدمة المقال، التي كتبتها طيبة تايلور، توضح: أن النبي محمداً ﷺ قد شجع أتباعه، ذكوراً وإناثاً على التعلم وطلب العلم.... وهكذا، فليس هناك سبب للاعتقاد بأن النساء في المجتمع الإسلامي المبكر قد حرمن أنفسهن من متعة البحث الإسلامي وميزته». وتابعت: «وعندما انتشر الإسلام إلى ثقافات ملكية أو أبوية جامدة، اتخذ تفسير الإسلام وممارسته منحىً ذكورياً مركزياً» غير أن الباحثات الموصوفات في عزيزة يوضحن كيف أن المثل القرآنية العليا الجميلة [لا تؤيد] المعاملة القمعية للنساء في كثير من المجتمعات الإسلامية، وبذلك يخترعن حركة نسوية ليست مركزية أوروبية بشكل تقليدي ولا دنيوية علمانية في طبيعتها». وبعبارة أخرى، فإنهن يشكلن خطاباً نسوياً إسلامياً. وتشجع الباحثات نساء أخريات على الدخول في الحوار، وينصحن الباحثات الناشئات بأن «يتعلمن اللغة العربية، وأن ينضممن إلى أخريات يتحدثنها بطلاقة إلى أن يكتسبن هذه الطلاقة» (تايلور 2001).

وفي كل عدد من أعداد المجلة قسم للدين يركز على جانب من جوانب الفقه الإسلامي[17]. وتستخدم الكاتبات النصوص الإسلامية التقليدية لإعلام قارئاتهن بأن لهن الحق في تفسير النصوص الإسلامية، وممارسة التفكير المنطقي القانوني الإسلامي. وتفند هينا عزام الافتراضات القائلة: إن «المعلمين المؤهلين» الذين لديهم تدريب على «التعليقات التقليدية» هم وحدهم المرخص لهم دينياً بتفسير آيات القرآن (2001). وتشجع آصفة قريشي قارئاتها على الانشغال بالاجتهاد، والإقناع المنطقي القانوني، وأن يفعلن ذلك بثقة؛ لأنه ليس هناك تفسير صحيح وحيد، بل عدة أجوبة ممكنة حول أي نقطة معينة في القانون الإسلامي. فهي تكتب: «إن مسؤوليتنا هي أن ننهمك في عمليات الاستطلاع والتحليل. فالمهم هو الجهد والإخلاص في المداولة، وليس صحة الاستنتاج» (2001).

فهؤلاء النساء باحثات، ولكنهن أيضاً ناشطات فاعلات. وهن مهتمات بتغيير يجعل المجتمعات أكثر شمولاً. ومن الحالات المثيرة للاهتمام واحدة تتعلق بمقال عن العجز

تعطي فيه بسيمة لغاندر ـ مرسي صوتاً لما هو خفيّ غير مرئيّ. وتعلق مجيدة هاريس: «أشعر أحياناً وأنا في مقعدي ذي العجلات أنني غير مرئية. فأتلقى في المسجد نظرات تقول لي: لماذا أنت هنا؟ ماذا تفعلين هنا؟... لا يزال أمام المسلمين شوط كبير ليقطعوه قبل أن يكتسبوا وعياً بحاجات العاجزين المقعدين» (2001). وفي المقال المعنون «الحج على كرسي ذي عجلات» تصف بيتي حسن أمين كيف أن عاملاً في حافلة على طريق مطار جدة قد وضعها في فسحة غير آمنة، وكيف زحفت بكرسيها ذي العجلات «بهدوء» إلى بقعة آمنة. وتقول: «وعاد العامل... كي يقذف بي بفظاظة ليعيدني إلى حيث يعتقد أنني يجب أن أكون. وبالعناد المولود معي في كرامتي الإنسانية، عدت إلى الانتقال إلى المكان الآمن، وأغلقت مقعدي في الموقع. وبحلقت في عين عامل الباص مباشرة. فبقيت هناك» (2001، ص43). وقد امتدحت النساءُ اللواتي قابلتُهُنّ مجلة عزيزة لأنها تضمن أصوات النساء «غير المرئيات» في عددها الأول بالذات.

عزيزة: الربط عبر الفوارق

قد يكون التنوع تقسيمياً. فكاترين إنغلاند تصف مجتمعها المحلي بأنه مقسم بحسب الأصول العرقية: «لدينا مسجد عربي، ومسجد باكستاني، ومسجد أميركي إفريقي... فالمسجد يصبح مجرد نادٍ اجتماعي لمجموعات عرقية مختلفة. واللواتي لا يتلاءمن منا مع أي من هذه المجموعات المختلفة كثيراً ما يشعرن بأنهن مستبعدات» (مقابلة هاتفية مع المؤلفة في 25 أيلول / سبتمبر، 2001). وكثيراً ما تشعر معتنقات الإسلام الأميركيات الأوروبيات بالغربة في **الأمة** الأمريكية؛ لأنهن يمثلن واحداً من أصغر الأصول العرقية بين المسلمات.

إن نادرة صابر، الأمريكية الإفريقية، تعدّ عزيزة منبراً لأصوات النساء البيض اللواتي كثيراً ما يغفل الناس عن ملاحظتهن في الجماعات الإسلامية. وهي تتصور أن تمثيل عزيزة الغزير للنساء البيض «ربما يدهش كثيراً من المسلمات الأميركيات السود» فعزيزة لا تكتفي بزيادة الوعي بهذه الأقليات المسلمة، بل تقدمهن بطريقة تجعل المسلمات الأخريات فخورات بمشاطرتهن الإخوة. وقد كتبت الأمريكية الأوروبية بيث هاول ـ محمود عن الفنانات في عزيزة. وقد أقلقها أن الأميركيين يعرفون الكثير

عن محرقة الهولوكوست، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن محنة الفلسطينيين، فأقامت مخيماً فلسطينياً صورياً رمزياً بالقرب من احتفال إسرائيلي في مركز مجتمعها المحلي. وقد أُعجبت عميدة صلاح الدين، إحدى قارئات مجلة عزيزة، بوقفة بيث هذه. وعميدة أمريكية إفريقية (مقابلة مع المؤلفة في 4 أيلول / سبتمبر 2001). أما خديجة شريف درنكارد، وهي أمريكية إفريقية أيضاً، فقد أذهلها مقال عن المسلمات اللاتينيات، وهنّ أقلية عرقية إسلامية أخرى. فعلقت عليه قائلة: «لا أعتقد أن معظم الناس يدركون أن هناك أكثر من 40000 مسلم لاتيني في أمريكة، والرقم ينمو ويتصاعد بقفزات كبيرة كل عام». (مقابلة عن طريق البريد الإلكتروني مع المؤلفة، في 24 أيلول / سبتمبر، 2001).

ومع ذلك، فإن تمثيل التنوع العرقي في عزيزة قد تطلب بعض التصحيح والتدقيق. فبينما وصف أول عدد من المجلة نساء من مجموعات عرقية متنوعة، بما فيها من أميركيات عربيات وأميركيات أوروبيات، وأميركيات إندونيسيات فإن صور الأميركيات الإفريقيات ونساء آسية الجنوبية كانت هي الأكثرية الغالبة[18]. وتلتقط بعض القارئات المجلة باحثات عن نساء يشاطرنهن إيمانهن، بغض النظر عن الأصل العرقي. غير أن أخريات يبحثن عن نساء يشاطرنهن دينهن وأصلهن العرقي معاً. وقد اشتكت مثل أولئك النساء عندما وجدن تمثيل مجموعتهن العرقية أقل من المجموعات الأخرى[19]. فالمحررات الآن يبذلن «جهداً مركزاً» للمساواة بين الأصول العرقية للنساء الممثلات في الصور وفي النص على حد سواء. فقد أظهرت أغلفة الأعداد الخمسة الأولى من عزيزة أمريكية إفريقية وأمريكية إندونيسية، وأمريكية لاتينية، فأمريكية إفريقية أخرى، فأمريكية عربية، بهذا الترتيب.

المسلمات يتخيلن المستقبل

تعتقد النساء في شبكة عزيزة أنهن اللواتي سيقدمن أكبر إسهام في إنشاء أمة أمريكية حساسة وشمولية. فقد لاحظت كاترين إنغلاند: «ربما لأننا كنا في موقع عدم امتلاك القوة، فإن النساء كثيراً ما يكنّ قادرات على النظر إلى الجانب الآخر، وعلى التفهم المتعاطف معه أكثر» (مقابلة هاتفية مع المؤلفة في 25 أيلول / سبتمبر،

2001). وأضافت صابرة محمود: «إننا نتعلم من بعضنا بعضاً أن بمقدور النساء أن يمسكن بزمام القيادة... دون مصادقة الرجال الضرورية لإضفاء الشرعية على ذلك» (مقابلة هاتفية مع المؤلفة في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، 2001). وعلقت غيل مديون بطريقة مماثلة: «قد تؤسس المجلة وحدة لم تنضج بعد في هذا الوقت إلى الاكتمال الذي ينبغي أن تصل إليه. وببساطة فإن عزيزة عزيزة عليّ لأنني أرى فيها المستقبل.» (عزيزة، شتاء 2001).

إن عزيزة هي مجلة عن المساواة، والعدالة، والكرامة، والحرية للجميع. فهي تعطس الغنى والتنوع في صوت المسلمات الأميركيات، وبذلك فإنها تسهم في إعادة صياغة وجه الإسلام في أمريكة بظلال وطبائع وأمزجة متعددة.

الحواشي

(1) إن شعار ترويسة مجلة عزيزة هو: «للمسلمات المعاصرات» وخلال مرحلة كتابتي لهذا المقال، كانت عزيزة قد نشرت أعدادها الخمسة الأولى.

(2) يجب عدم خلط الحجاب مع نقاب الوجه أو البرقع. فعندما أستخدم مصطلح «النقاب» فإنني أقصد به غطاء الوجه.

(3) تبين دراسة للمساجد الأمريكية أن الأصول العرقية الموجودة فيها تشمل جنوب آسية (باكستانية، هندية، بنغلاديشية، أفغانية)، وأمريكية إفريقية، وعربية، وإفريقية (جنوب الصحراء)، وأوروبية (بوسنية، تترية، كوسوفية، وغيرها)، وأمريكية بيضاء، ومن جنوب شرقي آسية (ماليزية، إندونيسية، فلبينية)، وكاريبية، وتركية، وإيرانية، ولاتينية، ولكنها لا تقتصر على هذه الأصول العرقية وحدها. غير أن خمسة في المئة فقط من المساجد الأمريكية مكونة من مجموعات عرقية متعددة، مع حضور متوازن. أما الباقي ففي كل مسجد منها مجموعة عرقية غالبة، وهي في العادة إما أمريكية إفريقية أو من جنوب آسية (باغبي، وبيرل وفروهل 2001).

(4) إن مفهوم «المسجد العرقي» قد تم التنظير له بالعمل الريادي البذريّ لكل من إيفون يزبك حداد وآديرت لوميس في ميدان الدراسات الأمريكية الإسلامية (1987). ومنذ طبع هذه المقالة قام آخرون بتصوير التنوع العرقي والانفصال في **الأمة** الأمريكية. ومن بين الأحداث منهم بدر 2000 وديني 1998 ولنكولن 1997، وسميث 1999، وتيرنر 1997.

(5) «في ثلثي المساجد تقريباً (66 في المئة) تؤدي النساء الصلاة خلف ستار أو حاجز فاصل أو في غرفة أخرى. وفي عام 1994 قال 52% من المساجد: إن النساء يصلين خلف ستار. وإن هذه الممارسة آخذة في الانتشار الواسع». (باغبي، وبيرل، وفروهل 2001، ص11).

(6) منذ العدد الأول من عزيزة، لم تعد نادية محررة فيها.

(7) تطلب عزيزة من فتيات الغلاف أن يكنّ ملائمات للتصوير من الناحية الجمالية، ولكن يجب أن تكون لديهن أيضاً قصة وراء الوجه. وبعبارة أخرى فإن الجمال لا يكفي للوصول إلى غلاف عزيزة.

(8) تتطلع حفلات عزيزة إلى أن تتضمن نساء من كل الجماعات مع سلسلة من الأصوات. فتقام هذه الحفلات في مواقع محايدة في المدن، بحيث تظل الشبكة غير مرتبطة بأي مسجد، أو جماعة أو مذهب (مدرسة فقهية إسلامية) على وجه التحديد.

(9) لاحظت طيبة أن من الصعب أحياناً العثور على مرتلات؛ لأن بعض النساء يرفضن تلاوة القرآن بحضور الرجال.

(10) إن أصل عائشة العرقي غير محدد. غير أنها تكتب لمجلة «أحاديث» من جدة، في المملكة العربية السعودية (ربيع عام 2001).

(11) ولهذا السبب، فإن عزيزة هي واحدة من نوعها بالمقارنة مع مجلات النساء المسلمات في مناطق خارج الولايات المتحدة [تعكس] في العادة نساء من الأصل العرقي لذلك البلد فقط (طيبة تايلور، مقابلة مع المؤلفة في 8 حزيران/ يونيو، 2001).

(12) المصدر السابق. هنا تنتقد طيبة وفرة الأدبيات حول «كيف تصبحين مسلمة مثالية»، معظمها من تأليف رجال مسلمين. إن مثل هذه الأدبيات تأمر المسلمات أن يكنّ سلبيات، بدلاً من إعطائهن فرصة التكلم بأنفسهن لتحديد ماهيتهنّ.

(13) «تتحول النساء بسهولة على أيدي أشخاص خارجين إلى صور تصبح بعد ذلك رموزاً لثقافتهن؛ لأن النساء ضمن الثقافة نفسها يؤدين المهمة نفسها. فمهما كان عدد النساء الأميركيات العفيفات المتواضعات اللواتي قد يلتقي بهن المسلم الآسيوي، ومهما كان عدد النساء الآسيويات المسلمات المستقلات، السافرات، الميالات إلى تأكيد شخصياتهن اللواتي قد يلقاهن الأميركي، فإن الصورة

الأساسية قد لا تتغير، لأن فرادى النساء هؤلاء يعدّون شذوذاً عن قاعدة يعملن بذلك على تعزيزها (كوك 2001، ص126).

(14) إن الأصل العرقي لسارة سابو غير محدد. غير أنها تكتب لمجلة «**أحاديث**» من سانتا روزا بكاليفورنية (صيف عام 2001).

(15) طيبة تايلور، مقابلة مع المؤلفة في 8 حزيران / يونيو، 2001. وقد نشرت **عزيزة** فعلاً مراجعة لكتاب شهناز خان المعنون: **النساء المسلمات: تصنيع هوية أمريكية شمالية**، الذي يصف مسلمات يعرفن أنفسهن كحركة نسائية، ويطرح موضوعات مثيرة للخلاف والجدل كالمثلية الجنسية.

(16) إن تصور طيبة «للتجربة الخارجية» قريب الشبه بوصف و.ي.ب. دوبوا «للوعي المزدوج» (1989). ففي المعنى الأول، يمثل «الوعي المزدوج» نزاعاً سلبياً تتعرض له الأميركيات الإفريقيات. فهن سليلات عبيد أفارقة يعشن في «عالم لا يعطيهن وعياً حقيقياً بالذات ولكن يسمح لهن فقط برؤية أنفسهن من خلال ما يتكشف عنه العالم الآخر (ص5). فهن يكافحن لاكتساب إنسانيتهن الكاملة في مواجهة عيون ذوي البشرة البيضاء الذين يرون أن الأميركيات الإفريقيات أقل من بشر. غير أن تجربتهن الخارجية، أو وعيهن الآخر الذي لا يملكه البيض، هي قيمة ومحبة لسوادهن الذي يعطيهن قدرة محتملة على إعادة إنشاء أنفسهن في عيونهن وفي عيون الآخرين.

(17) في الأعداد الخمسة الأولى، كانت أقسام الدين كلها مكتوبة بأقلام نساء حاصلات على درجات عالية في الدراسات الإسلامية من جامعات أمريكية: «جميلة كريم... طالبة مرشحة للدكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة ديوك». (شتاء عام 2001)؛ «هينا عزام... العاملة بأطروحتها للدكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة ديوك، حيث تركز على معالجة العنف الجنسي ضمن الشريعة» (ربيع عام 2001)؛ «آصفة قريشي... طالبة دكتوراه في كلية الحقوق بجامعة هارفارد، تكتب أطروحتها في العلم العدلي في النظرية المقارنة

الدستورية الإسلامية والأمريكية» (صيف عام 2001)؛ «آندريه أوسيم... تستكمل الآن أطروحة لدرجة الماجستير في الدراسات اللاهوتية في كلية اللاهوت بجامعة هارفارد» (خريف عام 2001)؛ «وبراشاس رشيدة محمد... خريجة عام 2001 من كلية اللاهوت بجامعة هارفارد التي أوجدت مؤتمرات «الإسلام في أمريكة» بإدارة الطلبة، بينما كانت تدرس في جامعة هارفارد» (ربيع عام 2002).

(18) إن التمثيل غير المتناسب للأميركيات الإفريقيات والأميركيات من جنوب آسية في العدد الأول يعود سببه إلى حد كبير لكون مصممة الأزياء الموصوفة في هذا العدد تبيع بالمفرق ملابس آسيوية جنوبية؛ ومعظم عارضاتها يمثلن مجموعات من هذين الأصلين العرقيين. ومع ذلك فإن وجود أغلبية من هذين الأصلين لا يسيء لتمثيل الأمة الأمريكية بأي حال، مادامت هاتان المجموعتان هما الأكبر بين مسلمات الولايات المتحدة.

(19) أبرز العدد الثاني من عزيزة رد فعل معارض للعدد الأول، بل إن بعض النساء الأميركيات الإفريقيات قد تذمرن من وجود عدد أكبر من اللازم من العارضات الأميركيات الإفريقيات ذوات البشرة الفاتحة في ذلك العدد.